ترجمة

حياة الاستاذ الكبير والطود الشهير صاحب المصنفات المفيدة

والتآليف العديدة المقدس المبرور الشيخ سيدي

محمد جعيط مفتي الديـار التونسيـة

احله الله دار النعيم في الغرف

المرضيـة

م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

توطئة :

لم تجر عادة الناسخين للكتب العلمية فيما غبر من الزمان بذكر ترجمة موءلف الكتاب في طالعة تاليفه او في آخره حتى يكون المطالع لذلك التاليف على بينة من مرتبة الموءلف العلمية وتاريخ وجوده في العالم العلمي ومكانه من المعمور حتى ان من تعلق غرضه لمعرفة ترجمة اي عالم يضيع وقتا عظيما في التفتيش على ترجمته في كتب التراجم وطالما ذهب سعيه ادراج الرياح وبقي الامر على ذلك الى ان ظهرت آلة الطباعة فانتقلت هياة نشر التاليف من النسخ الى الطبع فاخذ من ذلك الوقت الناشرون لتلك الكتب يذكرون ترجمة الموءلف ضمن كتابه تسهيلا على مطالعيه طريق الاحاطة بحال الموءلف وضنا على وقت المستفيد من التلاشي في التفتيش المتقدم وهي طريقة مثلى استحسنها كل المولعين بتراجم اهل العلم لما في نشر هاته التراجم من بث روح الاقتداء بمشاهيرهم ومعرفة نابغيهم وعظمائهم حتى اذا ما نسوهم في حياتهم لا ينسونهم بعد مماتهم وجريا على هذا السنن الحسن الحقنا ترجمة الموءلف بتاليفه .

نسبه ومجده

هو العالم النحرير والهمام الشهير . والفاضل الذي لا يفي بكمالاته لسان التعبير . ذو الهمة العلمية . والنفس العصامية . والاخلاق المرضية . المفتي المالكي الشيخ ابو عبدالله سيدي محمد ابن الكاتب البارع ابي محمد حموده ابن العدل المبرز الشيخ ابي العباس احمد ابن ابي النور عثمان ابن ابي الفضل قاسم ابن الابر ابي عبدالله محمد بن ابي البركات المبروك ابن العالم ابي عبدالله الشيخ محمد جعيط مفتي الديار التونسية على عهد المقدس المبرور المولى الامير حسين باي موءسس البيت الحسيني .

قيرواني الاصل اجداده من العرب الذين قدموا لفتح هاته البلاد وافتكاكها من ايدي البربر وانتقل الشيخ محمد جعيط لسكنى حاضرة تونس عندما قصد مرادابو باله آخر المتولين امر هاته المملكة من البايات المراديين القيروان وخرب معالمها الجليلة وقتل اهلها وسباهم . وشتت من كان فيها واجلاهم . فكان الشيخ ممن فاز بنفسه وبعض عائلته بالانتقال لسكنى الحاضرة خلال عام ١١١٠ وبقي البعض منهم على سكناها ليومناهذا

ولما استقر به المقام بالحاضرة واستتب الامن بولاية الامير حسين بن علي موءسس البيت الحسينية اقبل الشيخ بتعطش على المناهل العلمية . لميله للكمالات الذاتية . مع ما عزز ذلك من اظهار هذا الامير عنايته الملكية بالعلم واهله فقد جاء في صحيفة ١٠٩ من الذيل لكتاب بشائر اهل الايمان . في فتوحات آل عثمان . ما نصه :

ولما كان حفظه الله وادام بقاه وزاد في عمره وبحفظه تولاه (١) له مزيد الاعتناء

---

(١) المتحدث عنه هو المقدس المولى الامير حسين باي المذكور .

والاهتمام في استجلاب المشائخ الكرام . وتكثير العلماء الاعلام . وكان يصرف عليهم من خاصة ماله في كل عام . على ممر الليالي والايام . اموالا عظيمة . ويحسن اليهم احسانات جسيمة . ويدر عليهم الادرارات . ويبذل لهم الحسنات . فكان ذلك سببا لاكثار اهل العلم وطلابه كما قيل المنهل العذب كثير الزحام . حسنت له الليالي والايام . وكان الجامع الاعظم جامع الزيتونة بمدينة تونس قبل ايام دولته لم يكن فيه سوى ثمانية دروس مرتبة من اهل الخيرات الاقدمين . والان بحمد الله فيه من الدروس قدر الثلاثين . وحصلت منهم البركة وعم الانتفاع بهم اه . فاستكمل الشيخ محمد معلوماته التي كان ابتداها بالقيروان في الجامع الاعظم حتى صار من علماء دولة الامير حسين وقد ترجم له صاحب الذيل صفحة (١٧٥) بما نصه :

ومنهم (١) العالم الفاضل العامل الكامل الامام العدل المحقق الشيخ سيدي محمد جعيط حفظ القرآن العظيم في مبدا امره ثم توجه لطلب العلم وتحصيله واستفاد عن عدة مشائخ العصر منهم الشيخ العلامة القدوة سيدي سعيد الشريف وعن الشيخ العلامة سيدي عبدالقادر الجبالي وعن الشيخ محمد الغماد وغيرهم وحصل عنهم العلوم العقلية والنقلية واخذ عن شيخ مشائخ عصره سيدي محمد قويسم وبرع في علم التجويد والقراءات والفقه والنحو والمنطق والبيان والحديث والاصلين وله اجازات من مشايخه في ذلك وتصدر للتدريس باماكن متعددة وله ولوع في طلب العلم موصوف بالديانة والعفاف ثم صدره الامير للتدريس بمدرسته التي انشاها (وكان ذلك سنة ١١٢٤ كما جاء بصحيفة ٦٥ منه) (وهي المعروفة الان بالمدرسة الحسينية الصغرى الكائنة بنهج سيدي الصوردو عدد ٣٩ بتونس) وهو اول مدرس بها وفي اول يوم كان له درس عام حضره اجلاء الفقهاء وافاد واجاد ثم ولاه الامير حفظه الله وظيفة الفتيا (في سنة ١١٣١ كما هو تارخ ختمه الذي وقفت عليه) وسار فيها سيرة حسنة معتدل القامة حسن الوجه نقي الثياب حسن الملاقاة صاحب مروة ووقار وعفاف تخرجت من دروسه علماء جلة كالشيخ احمد الصيد ابن محمد المناري من علماء القيروان والشيخ حسن بن عبد الرزاق ويعرف بالهده من علماء سوسة كما جاء بالذيل ص ٢٤ وص ٤٤ وبقي على حاله متحليا بحلل كماله الى ان لبى داعي ربه في اواخر عام ١١٥٤

ولادته وتربيته

كان طلوع نجم المولف ليلة الاربعاء بعد منتصف الليل بخمس وخمسين دقيقة من الليلة الثانية من اشرف الربيعين عام ثمانية وستين ومائتين والف على ما اثبته والده في كناشته بخط يده الموافق لليوم الخامس والعشرين من ديسانبر عام احد وخمسين وثمانمائة والف ووالدته ابنة المرحوم الخير الثقة الشيخ محمد الوزير من بيت عريق في الحسب والمجد ناهيك ان من افراده الوزير السراج صاحب التاريخ المعروف الذي يشهد كل مطالعيه بما لصاحبه من علو الصيت في العلم والادب والتاريخ وجدته للام ابنة الشيخ بيرم الثاني فقد جمع صاحب الترجمة بين شرفي الحسب والنسب .

وفي بحر السنة الثالثة من عمره اي في اليوم السابع من شوال عام ١٢٧٠ توفيت والدته فكفله جده الشيخ احمد وجدته شقيقة ذي الوزارتين المرحوم الشيخ احمد ابن ابي الضياف لاشتغال والده بمهنة الكتابة في ديوان انشاء المشير الاول وقد تولى خطة

(١) اي من علماء دولة الامير المذكور .

الكتابة في اواخر المحرم من عام ستة وستين ومائتين والف بعدما استكمل تعلمه بالجامع الاعظم على شيوخ ذلك العصر وعظمائه المرحومين كالشيخ محمد ابن الخوجة شيخ الاسلام والشيخ سيدي ابراهيم الرياحي والشيخ محمد النيفر والشيخ علي العفيف والشيخ عاشور والشيخ حمده بن عاشور والشيخ محمد الطاهر بن عاشور .

وكان انتخابه للكتابة عنوانا على ماله من الفضل والنبوغ اذ خطة الكتابة في ذلك العصر من الخطط العلمية النبيهة وحسبك انها جمعت مثل الشيخ احمد ابن ابي الضياف والشيخ محمد العزيز بوعتور والشيخ بو خريص وامثالهم ومن ذلك الوقت شرع في تسويد كناشته التي جمع فيها مارق وراق من نثر وشعر فحول ذلك العصر بعد الاتفاق مع شقيقه المنعم امير الامراء الشيخ ابي المحاسن سيدي يوسف جعيط الوزير الاكبر كان تغمده الله بالرحمة والرضوان على ان يخصص كناشة مثلها من اشعار المتقدمين فجمع في هاته الكناشة زهاء الالف بيت دون ما جمعه من النثر لعلماء جلة كالشيخ عمر المحجوب والشيخ محمد الشحمي والشيخ سعاده والشيخين بيرم الثالث والرابع وغيرهم من مشاهير شعراء ذلك العصر حتى كانت هاته الكناشة مرجعا لمؤلف مجمع الدواوين العلامة المرحوم الشيخ محمد السنوسي الصديق الحميم لصاحب الترجمة .

وقد كان ديوان الحكومة في ذلك التاريخ ليس له مقر خاص بل يتنقل مع الامير اينما تنقل فمرة بباردو واخرى بحمام الانف وآونة بحلق الوادي وطورا بغار الملح وساعة بالمحمدية فتجد المشائخ الكتبة وسائر ارباب الحل والعقد من اهل الدولة ممتطين صهوات خيولهم وهم يتنقلون مع الامير اينما تنقل حتى ان الواحد منهم لا يزور محله بالحاضرة الاسبوع واكثر .

نشأته وقراءته وتعليمه :

لما اكمل المترجم له العام الخامس من عمره اختار له جده احد حفظة القرآن من اهل الخير والديانة فلقنه اولا احرف الهجاء ثم الكتاب العظيم واتمه في السنة الثانية عشرة من عمره فاشتغل به جده وصرف له كامل عنايته وندبه لحفظ المتون العلمية وكان ينشطه على ذلك باعطائه الجوائز المالية ترغيبا له على اسباب تحصيل العلم وكان جده في غضون ذلك يناغيه مبادي العلوم ليكون عند ارساله الى الجامع الاعظم على بصيرة .

ولجده مرتبة علمية توهله لتعليمه تلك المبادي واكثر فقد كان من العدول المبرزين في دولة الباشا حسين باي الثاني اولاه العدالة في ١٨ ذي الحجة من عام ١٢٤٢ ومعلوم ان خطة العدالة في ذلك التاريخ لا تسند الا لمن له اضطلاع في العلم والفضل حتى ان الامير حمودة باشا ينقل عنه انه كان يقول موت العدل اشد علي من موت القاضي لان القاضي اخلفه من العدول بخلاف موت العدل فانه ربما صعب تسديده وبقيت هاته القاعدة جارية في ولاية العدول الى ان تبدل الحال ووقع التساهل في اسناد هاته الخطة لمن هو غير اهل لهـا فاضطربت بذلك حالة التوثيق حتى اضطر امير ذلك العصر لتكليف شيخ الاسلام الرابع من آل بيرم بان ينظر في حال العدول فيبقي منهم من يراه اهلا لتلك الخطة ويكتب بطرة امره ما يشعر بذلك وقد كان هو من الذين كتب لهم بطرة اوامرهم ما نصه يبقى على شهادته وكتبه محمد بيرم لطف الله سبحانه به آمين واسفله اثر ختمه .

حياته العلمية - دور التعليم العلمي :

لما اتم الثالثة عشرة من عمره ادخله جده الى الكلية الزيتونية الكبرى فتلقى معين

المعارف عن أكابر أساتذة ذلك العصر كالعلامتين شيخي الاسلام فخري هاته الديار الشيخ احمد ابن الخوجة (١) والشيخ احمد كريم (٢) والعلامة النحرير الشيخ الشاذلي بن صالح كبير اهل الشورى (٣) والشائخ المفتيين الشيخ علي العفيف (٤) والشيخ محمد الشاهد (٥) والشيخ صالح التبر سقي (٦) والشيخ عمر ابن الشيخ (٧) والشيخ محمد النجار (٨) والشيخ محمود قبادو (٩) والشيخ سالم بو حاجب (١٠) المفتي ثم الباش مفتي والشيخ الطاهر النيفر (١١) القاضي المالكي والعالم السياسي الشيخ محمد بيرم المرتحل للديار المصرية (١٢) والعلامة المدرس الشيخ محمد الورتتاني (١٣) وغيرهم من فحول ذلك العصر ونجوم هذا المصر رحم الله الجميع .

قرء على الاول تفسير القاضي البيضاوي وعلى الثاني مختصر السعد وعلى الثالث التاودي على التحفة وعلى الرابع صحيح مسلم وعلى الخامس المحلي والتنقيح للشهاب القرافي وعلى السادس العقائد النسفية وعلى السابع المطول والمواقف والقطب على الشمسية وعلى الثامن عدة ابواب من الشفاء ونحو الربع من شرح العلامة الاشموني على الخلاصة وما يسره الله من المطول وطرفا صالحا من علم الهيئة وشرح الشيخ الدردير على مختصر الشيخ خليل والعضد على مختصر العلامه ابن الحاجب والكبرى والقصيد على ما اثبته له في اجازته وعلى التاسع الهداية في الحكمة وعلى العاشر العضد وعلى الحادي عشر الفرائض والبخاري وعلى الثاني عشر مختصر السعد وغيره وعلى الثالث عشر شرح الزرقاني على المواهب وعلى غيرهم بقية الكتب التي تدرس بالجامع الاعظم في ذلك التاريخ فكان صاحب الترجمة في سماء دروسهم شهابا ثاقبا وكوكبا ساطعا يولونه مزيد العناية ويشهدون له بالسبق في حل المشكلات الى اعظم غايه .

دور التعلم :

لما اقبل على المعارف بصبر قوي . وذكاء فطري . لم يلبث ان امتلأ من العلوم وفاضه . وازينت في ارجاء صدره رياضه . وحقق الله امل جده وأبيه فيه . وبلغهما الله سائر امانيهما فيه . فاذنته شيوخه في التصدي للارشاد . ونفع العباد . وكتبوا له اجازات كبرى . فيما هو به من نعومة اظفاره مغرى فمنها اجازة العلامة الاستاذ المرحوم الشيخ سيدي محمد النجار احد شيوخه السالفي الذكر التي قال فيها وان ممن عني بالعلم . وصرف فيه عزيز العمر وغزير الفهم . مشمرا عن ساعد اجتهاده . وسائرا في قننه ووهاده . حتى اينعت بالمعارف رياضه . وفهقهت منها حياضه . الفاضل الزكي . والاوحد الالمعي . الفقيه النبيه . الكامل النزيه . الشريف العفيف الناظم الناثر . ذو الفضائل والمفاخر . والحسب الذي لا يشوب جلالته اشتراك . والنسب الذي يعلو السماك . اعني بذلك من هو لجماع الكمالات جامع وبشتاتها محيط . ابا عبد الله الشيخ سيدي محمد ابن الفقيه النبيه المتفنن الاديب . الجهبذ الاكتب البارع الاريب . الشيخ سيدي حموده جعيط . فاكرم به من قدوة غذي بلبان المفاخر . ورواها عن اسلافه كابرا عن كابر . فابتدر يافعا الى المعالي . وضرب فيها بالقدح العالي . حتى امتطى صهوة المعارف . واحتوى على تليدها والطارف . اذا حاورته في العلم وما تضمنته الدفاتر . الفيت منه مصداق كم ترك الاول للاخر . اما علما الكلام والاصول . فانه في ميدانها يصول . قد حصل منهما على المقاصد ومنتهى السول . فاحرز بيت القصيد . بكبرى عناية وتاييد . واما فقه المذهب . فانه متحل بطرازه المذهب . واما البلاغة فانه كشاف مشكلها . ومفتاح مقفلها . واما علوم العربية والادب . فقد تمسك منها باوثق

سبب نعـ الوح معارف يطول تفصيلها . ومزايا عند منافثته يبين لك تاصيلها وتحصيلها
فلاح كالمشتري بين الكواكب . ونال من سعيه في اقتناص العلوم المقاصد والمآرب . ثم بعدما عدد ما قراه عليه من الكتب المتقدم ذكرها قال كل ذلك بجد وقلب واعي . وجنان لشروط التعلم مراع . ومن كان بهذه الصفة فجدير ان يكون كابن جلا . وان تعقد عليه الخناصر ويشار اليه بالبنان بين الفضلاء . الى ان قال فابرزت له هذه الاجازة في هذا المقصد المهم . اذ اهليته لهـذا المطلب كنـار على علم . ومن منـع المستوجبين فقد ظلم . فاقول وبالله الاستعانة اجزت الخ .

ما اقراه من الكتب :

فبموجب هاته الاجازة وغيرها من بقية شيوخه تصدر بالجامع الأعظم للتدريس ونشر الدر النفيس . واقبل عليه المتعطشون . لمناهل التحقيق من كل حدب ينسلون . وازدحمت على دروسه الانام . والمورد العذب كثير الزحام . فاقرء في النحو الى مغني اللبيب وختمه وفي الاصول الى المختصر الحاجبي وختمه وفي المنطق الى القطب وختمه وفي البيان الى المطول وفي الفقه الى المختصر الخليلي بشرح الشيخ عبدالباقي وفي التوحيد الى الكبرى وفي الحديث الى المواهب اللدنية بشرح الزرقاني وختمها والشفاء بشرح الخفاجي وختمه وصحيح مسلم بشروحه وختمه حتى كان يشار اليه بالبنان بين اهل طبقته من شيوخ الجامع الاعظم من كثرة ما درسه من الكتب في مختلف الفنون التي تدرس بالجامع الاعظم وختمه .

وتخرجت عليه طبقات عمروا الوظائف العلمية والسياسية والشرعية ولو جمع ما نظمه تلاميذه فيه من المدح والثناء لكان ديوانا حافلا .

دور التاليف

لم يله صاحب الترجمة حباه الله برضوانه . واسكنه فسيح جنانه . اشتغاله بالتدريس عن اخذ حظه من التاليف بل جمع بين الكمالين . وترك مالا ينقطع على كر الجديدين . من ذلك حاشيته هاته التي اجاد فيها وافاد . وتوسع ما اراد . وارج بنشرها عند درابة الاصول . رحاب الصدور ونواحي العقول . واوجبت له الثناء من اكابر الشيوخ . اهل الفضل والرسوخ .

ومن ذلك شرح بديع على البردة سماه المورد المريع . في شرح بردة المديح . كشف فيه عن مخبئات كنوزها . وحل به اسرار رموزها .

واختصار مفيد للفتاوي العظومية سماه الدر المنظوم . في اختصار فتاوي عظوم . ورسالة حافلة سماها نشر الدر . في صلاة الوتر . ذكر فيها اقوال الايمة ومدارك انظارها المتسعة ورسالة حسنة سماها كشف اللثام . عما ورد في احترام الطعام .

ورسالة سماها التحفة المرضية . في احكام الاضحية .

وتاليف في الانشاء سماه بيان التوصل . الى صناعة الانشاء والترسل . سلك فيه مسلكا مدرسيا . واوضح به في الانشا طريقا مرضيا .

هذا ما سماه . وفي تاج الاجادة جلاه . وابقى جميعه درة . وفي جبين عصره غرة واما ما لم يسمه فتعليق على صحيح مسلم في نحو الاحد عشر سفرا .

وتلخيص لنوازل النكاح من المعيـار .

وتاليف في تراجم العلماء التونسيين .
وحاشية على مقدمة الاعراب لابن هشام .
اما المسودات فعددها كثير وحسبك انه كان يكتب على كل ما يقرءوه فالله يضاعف اجره عليه .

حياته الادبية

بحسن تعلمه وذكائه الفطري احرز على فضيلتي فصاحة اللسان . وادب البنان . فانشا من بنات افكاره ما سحر العقول واخذ بمجامع القلوب ولم يتصد بشعره على كثرته لنيل حطام . او اجتراح اثام بل صرف معظمه في مدح المقام النبوي : او من له بالجناب الرفيع اتصال متين قوي واليك انموذجا في التعريف بادبه النثري والشعري وهو مكتوب مذيل بقصيدة كان وجهه لاحد اساتذته العلامة المرحوم الشيخ محمد بيرم يطلب منه قصيدة من انشاء عمه المرحوم الشيخ محمد بيرم الرابع في تهنية الشيخ احمد ابن ابي الضياف حين رجوعه من استانبول مقر الخلافة كان بعد ان اطلعه عليها وعلى غيرها ونصه :

كتابته الادبية :

سيدي من بسط للسائلين كف النوال . ومن حاز في المجد نهاية الكمال . ومن لجنابه تناخ ركائب الامال . غرة هذا العصر . وهلال هذا المصر . ومن عدم لمحاسنه شبه او حصر . من شرع للمجد شرائع . وجمعت له من المفاخر جوامع . واشرقت شموس معارفه فهن للناظرين لوامع . من اخذ على منوال اكرم جد ووالد . وكفى بالعيان دليلا وشاهد . من اشرقت شموس اوائله بهذا القطر الافريقي وهدت بانوارها العباد . ومهدت لنا طرق الخير والسداد . ونرجو من الله ان لا يزال كمالكم في نمو تام ومفاخركم كالنار اذ ظهرت فوق الاعلام . ولا زلتم حائزين طريق المجد مع التلاد . القدوة الاعظم . والملاذ الافخم . والعالم الاعلم . شيخنا سيدي محمد بيرم اما بعد اهدائنا الى علي الحضرة الشامخة . والمكارم الراسخة . وتقبيل اياديكم . والدعاء بالبقاء اليكم . فاني سيدي جعلت بحفظ الله محفوفا . وبطرايق النوال موصوفا . وسنن المكارم معروفا . مازلت مذ اطلعتني على نفائس الليالي . ورياض الاداب التي هي نزهة الايام والليالي بل عرائس من بنات الافكار . تزري ببهائها على بنات الابكار . من تزينت باطيف المعاني التي ازرت باطف النسيم . ولا اقدر ان اشبهها بالدر النظيم . وانها لعمري اخذت شهب النجوم عقودا . ووجهت لفتنة الالباب جنودا . وسحرت النفوس بحسن نظامها . وجذبت القلوب لشهد مذاقها . فلعمري انها ازرى بسحر بابل سحرها . وقلد بلطائف البلاغة جيدها ونحرها . واسكرتنا براح اللطافة والاداب . واتتنا بالعجب العجاب . فاشتقنا نهلة من كوءس شرابها . التي اخذته من رضابها . قد كشفن لناظرنا نقابها . واتت لنا بكاس شرابها . فيالها من راحة تريح النفوس . ويالها من درر قد تقلدت بهاته الطروس . ولعمري كان من حضها ان يقلد بها جيد البلاغة . ويشغل بها القلب فراغه . وترسم حروفها بعقل من يبغي سلوك الاداب . لتعينه على سلوك عين الصواب . فهي لعمري عين الادب والسياسة . وجمعت زين الحسب والرئاسة . والعقد الفريد . وازهار رياض الاداب التي محاسنها تشرق وتزيد . فلما تطلعت انوار معانيها . ومالت قلوبنا لجيد مبانيها . واشرقت بذلك المجلس انوارها تلك الشموس . وازالت

علينا غياهب النفوس . وتمنينا ان يطول بنا معها الجلوس . ثم بعد ذلك رحلنا بعد توطن النفوس على حبها . وبعد ان سمح الزمان لنا بقربها . ولم نشف من اصلها الظمئان . ولا انتقش على اطراف اللسان . فصرنا بفراقها في هيام . وابدلنا بعد سربال الشفاء سربال السقام . فها نحن منتظرون لتطلع صبح جمالها . موءملون لجودها ونوالها . مسلون النفوس بصادق الوثوق . وبقول القائل وكل غروب منتهاه شروق . فبعثت لسيدي قليل اشواقي . ووصفت نزر احتراقي . فليمن علي سيدي باهداء شفاء ليزول عناء بارسال قصيدة عمكم المرحوم الذي عم وداده سائر القلوب . وفقد بفقده كل مرغوب ومطلوب . من كان عليه الرحمة ولكل نفائس العلوم جامع شيخ الاسلام سيدي محمد بيرم الرابع التي انتخبت من القوافي قافية القاف . وحوت كل محاسن الاوصاف . فان ظهر لسيدي ادام الله عافيته على الدوام . على ممر السنين والاعوام . اهداءوها هي واترابها التي بهرتنا بمجلسك السعيد . فالنفس سيدي تميل للخير وتقول هل من مزيد . وهاكها سيدي ابياتا نطقت بها القريحة الخامدة . القاصرة عن سنن المكارم راقدة . في استدعاء روض آدابكم الذي يبتسم لمن ام جنابكم . وقد صغتها من بحر الطويل لادلكم على طول اشواقي . وشدة تالمي واحتراقي :

ايا من بدى بالمكرمات يفوق ... ولاح لديه في الانام شروق
ومن احرز العليا وحاز معارفا ... فهن لليل المشكلات بروق
ومن صاغ في نسج القريظ فرائدا ... سمت عن جياد القول وهي تروق
ايا سيدي اشكوا اليك وانني ... على كل ما نبدي لكم لصدوق
فاني لما غادرتني فرائد ... بمجلسكم للنيرات تفوق
وقد جذبت قلبي بجودة حسنها ... وقد اسكرتني من لماها رحيق
تحلى بمكنون اللطافة جيدها ... ومنظرها للناظرين يروق
وقد سحرت نفسي بسحر كلامها ... فنفسي لنيل الوصل منها تتوق
ومر على سمعي لطيف كلامها ... سريعا كطيف والفوءاد مشوق
وقد خلفتني سيدي حين ودعت ... رهينا وقلبي يعتريه خفوق
فصرت على طول المدا مترقب ... نهارا وليلا ان يكون طروق
اعلل نفسي بالرجاء الى اللقا ... واترك من قال الزمان يعوق
واضع في قول يقول مبشرا ... وكل غروب منتهاه شروق
ولكنني لما انخت مطالبي ... بباب الذي بالمكرمات حقيق
رجوت بلوغي كلما قد رجوته ... بمطلبنا حتى اعتراني وثوق
بقيت لنا دوما محط امالنا ... وانت بكل المكرمات حقيق

ودمتم بالحفظ والسلامة والمجد والكرامة والفخر والشهامة بجاه من ظللت عليه الغمامة والسلام الخ . موءرخ كتبه بالتاسع من المحرم الحرام عام ١٢٨٨ فيكون لمنشئه من العمر اعوام ١٩ ومدة قراءته بالجامع ستة اعوام فانظر بين حالة التعليم في ذلك التاريخ الذي لم يكن فيه قانون للتعلم والتلميذ محرز حريته في انتقاء الشيوخ التي تلايم ذوقه في تفهيمه وتوصيله وبين حالة التعليم اليوم ومتخرجيه .

وقد اجابه شيخه المذكور بجواب اقتنص في طيه درر الاداب . واتى فيه بما يبهر العقل ويناسب ذلك الجناب . ونص ما امكن العثور عليه منه بعد الحمد . والصلاة على من ليس لمفاخره حد .

سلام زكي نشره وعبيق يلوح عليكم من سناه بريق
يولي على ابني كلما هبت الصبا وانعش نفسي من ذكاه شروق
وقد قر سمعي والفؤاد وناظري بما اقد اجدتم من صنيع يروق

عرض خطة الكتابة السامية عليه :

في سنة ١٢٩٠ لما ترقي الوزير الخطير المقدس خير الدين لمنصب الوزارة الكبرى وكان بالمنزلة المعروفة من حبه للاصلاح والتقدم عم السرور الطبقة المتنورة من اهل ذلك العصر لما يعلقون عليه من الرقي للبلاد الذي برهن على مقدماته عند تسميته وزيرا مباشرا وقبلها وكان ذلك اثر اضطرابات وقعت في المملكة من بطانة امير ذلك العصر انطلقت السنة شعراء كثيرين من شعراء ذلك التاريخ ومفكريه في مدح المتولي والثناء عليه وكان صاحب الترجمة في طالعتهم فانشا قصيدته الرائية التي مطلعها :

شموس الهدى لاحت وروض الهنا افتر وثغر المنى من بعد ما قد ذوى اخضر

فوقعت من الوزير موقع الاستحسان والقبول وبعثته الى الاعجاب بناظمها وايدت له ما يبلغه عن صاحبها من غزارة العلم ومتانة الدين فدعاه لخطة الكتابة السامية فاعتذر للوزير عن قبوله لهاته الخطة بانه يريد التحلي بالكمال الذاتي والاعتكاف على منهل العلم الاصفى . وما يقرب الى الله زلفى . فقبل الوزير اعتذاره ضنا على الجامع الاعظم الذي كان به مغرى من ان يفقد عالما مثله .

وظائفه العلمية :

لما اشتهر صاحب الترجمة بين عرصات الجامع بسعة المعلومات واقباله على التعليم ونفع العباد اقبلت عليه الخطط العلمية منقادة تجر له اذيالها فسمي شاهدا مبرزا على عهد المقدس المشير الثالث في اشرف الربيعين عام ١٢٩٧ فباشر هاته الخطة ردحا من الزمن كان فيه مظهرا من مظاهر الديانة والفضل والاضطلاع في فن التوثيق حتى كان محل اعجاب مزاحميه من اهل هاته الخطة .

ولما توفي احد اساتذة المدرسة الصادقية العلامة المرحوم الشيخ عثمان الشامخ صدر له قرار من جناب المولى الوزير الاكبر المقدس المبرور الشيخ محمد العزيز بو عتور في تسميته مدرسا عوضه في ٣ صفر عام ١٣٠٦ وفي ٩ اكتوبر عام ١٨٨٨ وكانت هاته التسمية مخالفة لما عهد في نظام المدرسة الصادقية من اشتراط الاحراز على خطة التدريس بالجامع الاعظم ولكن قدرت الدولة مزاياه حق قدرها وراعت مصلحة المتعلمين فانتخبته .

وقد سلك رحمه الله في التعليم بها طريقة مثلى افضت الى تقدم المتغذين بلبانه . المرتشفين لزلال اتقانه ومعظمهم حل المناصب السامية . من الوزارة الكبرى فمادرن وقلوب الجميع على الترحم عليه متفقة متواطئة .

وفي اثناء مباشرته للتدريس بها الف تاليفه المسمى بيان التوصل . الى صناعة الانشاء والترسل . وكتاب التراجم السالفي الذكر .

ثم لما ترقى العلامة المرحوم الشيخ الحاج محمد النيفر من رتبة التدريس الثانية الى الرتبة الاولى المنحلة عن المرحوم العالم الشيخ محمد الطيب النسبعي ولي صاحب الترجمة مدرسا من الرتبة الثانية عوضه في ١٧ ربيع الانور ١٣٠٦ وفي ٢١ نوفامبر ١٨٨٨ وقد هناه صديقه سليل الجادة . ومطلع الافادة . فارس البيان . وحامل راية مذهب النعمان .

النحرير الذي القت العلوم اليه مقاليدها . وكان لكتائب الفضائل قائدها وصنديدها . من حقق في سماء المعالي عروجه المفتي الشيخ سيدي محمد ابن الخوجة بما نصه :

يهني بك التدريس اصبحت زينة   واصبحت للمجد المؤثل عينه
ومن كان في علياك دام ارتقاءوه   الى مرقب هام المجرة دونه

ثم في خلال عام ١٣٢٠ انتقل الى رحمة الله العلامة المرحوم الشيخ صالح بن فرحات المفتي المالكي فانحلت خطة تدريس من الرتبة الاولى فكانت الاوساط العامية في ذلك التاريخ ترشح صاحب الترجمة لهاته الخطة دون بقية زملائه لكن تعلق غرض النظارة العلمية باسناد هاته الخطة لغيره من بقية زملائه متعللين بانه افقه من صاحب الترجمة ولما بلغه ذلك قام وقعد واحتج على النظارة العلمية فيما تعللت به وطلب المناظرة الوقتية وبعث مطلبه مصدرا بثلاثة ابيات نصها :

اناظر ان كان المناظر عالما   لاعلى على التحقيق بالمجد قدكسي
وان كان ذا جهل فاعرض منشدا   لبيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدى من هزالها   كلاها وحتى استامها كل مفلس

فرجع الشيوخ عن فكرتهم لاحجام مزاحميه عن المشاركة في المناظرة الوقتية واسندت اليه خطة التدريس في ٢٣ ربيع الثاني ١٣١٠ الموافق ليوم ١٣ نوفامبر ١٨٩٢ وقد هنا كثير من تلاميذه واصدقائه شيوخ ذلك العصر بقصائد كثيرة نثبة منها هاهنا قصيدة هناه بها صديقه العلامة الهمام . والاخذ من العلوم باوفر السهام . من كان لغياهب المشكلات اعظم نبراس . المزري ذكاءوه بذكاء اياس . من كان في جبين المعالي غرة الاعصر المدرس الشيخ سيدي محمد الطاهر جعفر نصها :

مطالع يمن الله اطلعت السعدا   فبلغك الرب الكريم بها القصدا
اتى منصب التدريس يسعى برغبة   يباهي بك العلياء فاكتسب المجدا
اتاك على علم بانك خدنه   ولم يصغ للعذال نعم من استهوى
اذ حسنت لله نية عبده   فينجح مسعاه ويلقى به رشدا
فحق على مثلي اهنيه بالذي   غدا حسنه بين الورى جوهرا فردا
وحق على مثلي الهناء فانني   حليف وداد حافظ لكم العهدا
بقيت الى العلياء كهفا ممنعا   ترى بين اهل الفضل ابناءكم اسدا

و . توفي اخوه الفقيه النبيه الثقة الاعدل المشارك ابو النخبة الشيخ مصطفى في اول عام ١٣٢٠ وكان شاهدا اولا ببيت المال ومقدرا للنفقات رات الدولة اسناد هاتين الخطتين لاخيه صاحب الترجمة فاصدرت امرها في ٢٧ صفر ١٣٢٠ وفي ٤ جوان ١٩٠٢ بولايته في الخطتين المذكورتين .

ولما انحلت خطة النيابة الدولية الاولى لدى النظارة العلمية بالجامع الاعظم بموت متوليها العلامة المرحوم الشيخ محمد النيفر اسندت الدولة له هاته الخطة في ٦ ذي القعدة ١٣٣٠ وفي ١٦ اكتوبر ١٩١٢ فقام باعباء الخطة احسن قيام وابدى من المهارة في ادارة شوءون النظارة ما استحق به الاجلال والاكبار من اهل الاعتبار .

وفي اوائل رمضان عام ١٣٣١ لما فجع القطر التونسي بوفاة علامة زمانه واستاذ عصره واوانه المرحوم المنعم الشيخ سيدي محمد النجار المفتي المالكي عززت به الدولة ركن الفتوى في ٢٦ رمضان ١٣٣١ وفي ٢٨ اوت ١٩١٣ فتمسك بحبل الله الاقوى وتصدى للارشاد ونفع العباد ولم يصده عائق المرض الذي كثر انتيابه وغاص فيه ظفره ونابه عن افتاء المستفتين بل اصدر من الفتاوي ما جمع مجلدا ضخما حوى الشوارد وفرائد الفوائد .

صورة من خطه وختمه وامضائه :

اتماما للتعريف بصاحب الترجمة راينا ان نرسم صورة من العنوان اسفله ليكون المطالع لهاته الترجمة محيطا خبرة بالمترجم له ولم يمكن الاستحصال على صورته ورسمها هنا لانه لم يصور كامل عمره حيث كان يتورع عن ذلك ولو لما ليس له ظل

سبحان من بسط للسالكين النوال ومن هداهم الى نهاية الكمال وبعد فمن
فانه تمام اركان الامال نخبة هذا العصر وهلال هذا الشهر ومن
عم بمجالسه نشر ارجوان من شرح للصدر انه رجعت له من الصباح في
جوامع واشرقت من شموس معارفه شمس للناظرين لوامع من احتجب على مثواه
الكريم حدود والد وكعبة الحجاج وكهف البلاد وشاهد من اشرقت شموس ارايه
بهذا الافق المبين وهزت بلاده ورفع العباد وهمت لناظره الخيمة السوداء



انما وقع الاختيار على اخذ صورة من طالع المكتوب المدرج تحت عنوان كتائبه الادبية وان تقادم عهد كتابته حتى بلى بحيث لم تاخذ آلة التصوير كل حروفه حيث مضى على كتابته اعواما ٥٨ تاييدا للنظرية المذكورة في اخره .

اخلاقه :

اما اخلاقه فنسيم الاسحار . ونشر الازهار . يقطر منه ماء الظرف . وتقرءو في محياه سورة اللطف . جمع بين اللين . وقوة الدين . وخفض جناح الذل من الرحمة للمساكين . التواضع شعاره . والقيام لله دثاره . وذكر الله هجيراه . وتلاوة الاحاديث النبوية غاية مشتهاه . والتقرب من اوليائه منتهى مناه . مجالسه بين فواكه ادبية . وفوائد علمية . وفرائد وعظية لا تنتهك فيه الحرم . ولا يخلو من مستحسن الحكم . وقد استمر رحمه الله تعالى على سني هذه الشيم . الى ان لاقى الله . ودعاه داعي المنون فاباه . بعد مضي خمس وثلاثين دقيقة من زوال يوم الخميس الخامس عشر من اشرف الربيعين عام سبعة وثلاثين وثلاثمائة والف الموافق لليوم التاسع عشر من ديسامبر عام ثمانية عشر وتسعمائة والف فانهدمت بموته الصروح العلمية . واهتز لفقده كل البرية . والله يضاعف احسانه اليه . ويوالي رحمته عليه . وعند ظهر غد وفاته وهو يوم الجمعة قبر بمقبرة اسلافه بالجلاز في مشهد عظيم مشى فيه الامراء والوزراء ورجال الدولتين وكافة شيوخ المجلس الشرعي بالمذهبين واساتذة وشيوخ الجامع الاعظم وتلاميذه وسائر الطبقات التونسية ماسوفا عليه من الجميع .

مارثي به :

وقد كان لنعاه رنة حزن واسف من سائر الطبقات وخصوصا العلمية مما انطق كثيرا من الشعراء برثائه نثبة منها هاهنا مرثية من نظم العالم الغطريف . والنحرير العفيف . من كان له في سحر البيان القدح المعلى . وفي غياهب المشكلات التحقيق المجلى . ذو الرياستين وثالث الفرقدين . من كانت مقدمات كمالاته صحيحة الانتاج . المرحوم المنعم الشيخ سيدي حموده تاج ونصها :

لك الله من خطب وما رد وارده ولا صدمنا بالفدا منه وافده
لك الله من خطب تخطف نيرا فاظلم افق العلم اذ غاب واحده
واصبح كل شاخصا متحيرا وما هو يدري اين ضلت مراشده
فلا غرو ان فاضت دموع وادهشت جموع ومنها الدمع ما ذاب جامده
وذلك ان القطب من افقه هوى واهوت تواريه برمس فراقده
ولو لم يكن من عليين لبادرت الى حمله الاملاك وارتاح لاحده
ولو لم يكن من عليين لما ثوى اليه همام راكع الليل ساجده
خضم من العرفان والفضل والعلا مواقفه محمودة ومقاصده
ولوع بتحقيق العويص فعنده مقيدة في كل فن شوارده
فما شئت من علم الكلام وحله به عقدا تخفى لديها عقائده
وما شئت من علم الاصول وحمله الف روع على ما تقتضيه قواعده
وما شئت من فقه وحفظ لكل ما احاطت به في الامهات معاهده
له خطرات بالصحيحين اخفيت يخافتها لكنما الله شاهده
له انقاد علم بالصحيح وضده ولم يبق في ذا اليوم من هو ناقده
واما علوم القوم فهو امامها يجاهد فيها نفسه وتجاهده
يجود بما للحاتمي كحاتم ويجلوه حتى لا يرى قط جاحده
وينسج من غزل الغزالي حلة يناوله فيها من الحمد خالده
الى غيرها من كل ما عز مثله ولا اتحاشى ان انا قلت خاشده
كجيد شعر جاء في الكون عاطرا وانفس نثر جاء فيه عطاردة
وهل لضياء الشمس في زمن الضحى خفاء وهل في الناس من هو فاقده
كذاك ابو عبد الالاه محمد جعيط تجلت للانام محامده
فكم اخذت عنه الفحول وقلما ترى منهم من لم تنله قلائده
ففي جامع الزيتونة انساب يمه واذ ذاك حلت كل فرد فرائده
وفي غرض الافتاء ما فتئت به تبين خفاياه ويشتد ساعده
فينقض للمعنى الدقيق كانه شهاب من السبع السماوات راصده
اذا امه مسترشد قال انه ابن رشد وما ادراك او هو حافده
ومن كان للورد التجاني اخذا مريدا بصدق فهو للخير رائده
ومن كان هجيراه فيه جواهر المعالي فكل الصالحات تساعده
فيا سيدا اسدى الجميل وقد مضى الى الله مغبوطا وماثم حاسده
فقدناك في نادي الوظيفة عندما يجللك النور الذي جل واجده
فقدناك ان ما جادل المنكر الذي تجند له مهما تمرد وارده

وترميه بالجيش العرمرم فاتكا	وقد فغرت آسادها واساوده
عليك من الختم الممد مطارف	بها طارف السر العظيم وتالده
وما نحن في هذا الصعيد نصور الـ	ـمقام الذي في يومنا انت صاعده
ومالك من فضل الالاه بحرمة الـ	ـممد من الزرع الذي انت حاصده
كروية وجه طالما كنت شائقا	اليه ومن حال الصبا انت عابده
فما لنا الا ان نهنيك في سرى	وعند معالى صبحه انت حامده
وان نتوخى الصبر عنك وان بدت	الينا بما لا نستطيع اوابده
وان نقتفي فيما اقتفيت فانه الـ	ـسبيل الذي مدت الينا موائده
وان نتلقى فيك قول موءرخ	الا بجنان الخلد انت لماجده
	٣٢ ١٠٦ ٦٦٥ ٤٥١ ٨٣

سنة ١٣٣٧

ما نقش على ضريحه :

ونقش على مشهد ضريحه من نظم بعض تلاميذه التاريخ الآتي نصه :

امووءي نفس بدنيا تبدد	تذكر مصيرك ان رمت ترشد
تامل قبورا تضم بحورا	وناسا بدورا يواريها جلمد
كهذا العماد مضيء النـ	ـوادي يبيض الايادي ومن كان يقصد
جعيط التقي الهمام النقي	ومن كان لله يسعى فيصعد
تحلى بفتواه طرس القصايا	فكان اذا قال قولا يقلد
واجري معين العلوم فاروى	وام العويص فاصمى واقصد
وهز اليراع لتحبير كتب	فكان شهابا الى الصعب يرصد
ونال الاجادة في حوك شعر	يحاكي النسيم اذا هو ينشد
لذاك بكاه بملا الجفون	مريد الفنون لما صار يفقد
وابدى اليراع لباس السـ	ـواد على فقد حبر به كان يحمد
فيا زائر القبر ارخ بدا	بخير الجنان منار محمد
٧	٨١٢ ١٣٥ ٢٩١ ٩٢

سنة ١٣٣٧



صورة ابن صاحب الترجمة وناشر تآليفه الشيخ علي جعيط
احد اعيان متطوعي الجامع الاعظم وعدول حاضرة تونس المحروسة